

الرحلة والرحالة في الأدب الجزائري

Travel and Travelers in Algerian Literature

طالبة دكتوراه : نورة رحموني ، جامعة أحمد دراية أدرار.
الأستاذة المشرفة: أ.د. سعاد شابي، جامعة أحمد دراية أدرار.
• البريد الإلكتروني: rahmouninora87@gmail.com

تاريخ النشر: 2019/06/30

تاريخ القبول: 2019/06/16

تاريخ الإرسال: 2018/08/06

الملخص:

إن الرحلة من الفنون الأدبية العريقة في الأدب العربي، وهي لون من الألوان السردية التي تعتمد على ضمير المتكلم وتعبّر عن الأنا مع انفتاحها على الآخر، وأحد الألوان القصصية التي تجذب قراءها بالمتعة والتشويق، ينقل فيها الرحالة من خلال ما شاهده عبر تنقله من مكان إلى آخر (عادات وتقاليد معتقدات ومعالـم أثرية وغيرها). بالإضافة إلى أحداث عايشها الأديب ومواقف تأثر بها وهموم عانى منها في ذلك المكان. إن أدب الرحلة الجزائري جزء لا يتجزأ من هذا الأدب الرحلي العام وإن كان لا يزال أدبا بـكرا لا تزال مناجمه مادة خاما لم يحظ بدراسات نقدية كثيرة، كما أن الرحلات الجزائرية لا تزال مبعثرة في المجلات والصحف فهي بحاجة إلى الجمع والدراسة. وهذا من البواعث التي حدثت بي إلى اختيار فن الرحلة موضوعا للبحث والدراسة بالإضافة إلى وجود مادة جيدة وكثيرة تنافس أدب الرحلة العربي.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، أدب الرحلة، تعريف أدب الرحلة، رحالون جزائريون.

Abstract:

The travel story is one of the oldest Arabic literary genre and it is one of the arts of narration. It relies on the pronoun "I" and the "ego" notion with the openness to the other, which attracts the readers. The author of a travel story depicts the historical sites, the customs and the traditions of people through his trips and journeys in addition to the events he witnessed and the experiences he went through. The Algerian travel story literary genre is a part of the general Arabic travel story literature though it has not yet been enough explored. Moreover, the Algerian travel stories are still scattered in journals and newspapers and need to be collected and studied. This motivated me to choose this topic as a subject of research and study in addition to the existence of good material in abundance which competes the Arabic travel story literary genre.

Key words: Travel, Travel story literature, Algerian travelers.

مقدمة:

يشكل أدب الرحلة رافداً من روافد الأدب العربي على مر التاريخ، فهو يحمل موضوعاً ممتعاً وشيقاً للرحالين الذين وصفوا ما انتابهم من مشاعر وأحاسيس، وعبروا عن انطباعاتهم الفكرية بالإضافة إلى معارفهم المتعددة. لأجل ذلك أصبحت الرحلة بعد تدوينها مزيجاً من المعارف المتعددة، يجد فيها الباحث ضالته الدينية والاجتماعية والثقافية... الخ فهي نص جامع لمجموعة من الاختصاصات العلمية والمعرفية.

والرحلة من مصادر التاريخ والأدب والآثار التي تضيف الكثير من المعلومات والأحداث، وتقدم وصفا للأماكن والشخصيات، وهي انطباعات شخصية على الجوانب التي شملتها، هذا وقد حظيت أعمال الرحالة بقدر كبير من الاهتمام من قبل القراء وذلك لما احتوت عليه من عناصر الخلق والإبداع ، وقد عرف الإنسان الرحلة منذ إن وجد على وجه الأرض رغم الاختلاف بين مرحلة من حيث الدوافع التي يمكن إرجاعها الى الرغبة في اكتشاف المجهول والتعامل معه بما تيسر من وسائل ، والرحالة الجزائريون كان لهم نصيب من هذا الجنس الأدبي النثري عبروا فيه من خلال رحلاتهم عن ما شاهدوه في بلدان غيرهم ، فاختلقت مشاربهم وكان لهذا الاختلاف انعكاس على اختلاف مواضيع الرحلات ، فمنها العلمية، و السياسية و الثقافية و الدينية .

وقمنا في هذا المقال باختيار مقتطفات لنماذج من رحلات بعض الكتاب الجزائريين الذين مارسوا الرحلة وأبدعوا فيها، فما مفهوم أدب الرحلة.

1/ تعريف أدب الرحلة:

هو فن من الفنون الأدبية التي شاعت لدى العرب منذ القديم له خصائصه المعينة بل إنه كما يقول شوقي ضيف: «إنه الفن الذي يرفع التهمة التي ترى أن الأدب العربي لم يعالج فن القصة».⁽¹⁾

جاء في معجم المصطلحات الأدبية: «أنه مجموعة من الآثار التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه

(1) الرحلات: شوقي ضيف ، دار المعارف مصر ط4(1987)، ص06.

من عادات وسلوك وأخلاق وتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها , أو يسرد مراحل رحلته مرحلة مرحلة أو يجمع بين كل هذا في آن واحد»⁽¹⁾.

وفي المعجم المفصل في اللغة والأدب: «هو ذلك الفن الذي يصف الكاتب من خلاله انطباعات ومشاهداته في الأقطار المختلفة التي يزورها, ويشتمل على وصف الطبيعة الجغرافية وعادات الناس وتقاليدهم, وأنماط حياتهم وتفكيرهم ونبذاً عن تاريخهم البعيد والقريب»⁽²⁾.

ويعرفه عمر بن قينة: «بأنه لوناأدي ذو طابع قصصي فيه عموماً فائدة للمؤرخ, مثل الباحث في الأدب والجغرافيا , وعالم الاجتماع وغيرهم»⁽³⁾, كما يعتبر ضرب من السيرة الذاتية في اكتشاف معالم وأقطار ووصفها والحكم عليها عبر مسار الرحلة.

فمن خلال التعريفات نخلص إلى أن أدب الرحلة هو تلك الآثار التي تتحدث عن رحلات واقعية قام بها الرحالة ونتعرف من خلالها على عادات وتقاليد البلدان التي مر بها والتي أحدثت في نفسه انفعالاً ينعكس في الأعمال الأدبية شعراً أو نثراً.

وهذا النوع من النثر لم يأخذ في بداية الأمر اسم رحلة وعناوين بعض المؤلفات دليل على ذلك منها (مروج الذهب, البلدان) وغيرها. أما لفظ رحلة فأول من أطلقها على مؤلفه فهو بن جببر ولقد ورد ذلك في مقدمة الرحلة المغربية

(1) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي, مجدي وهبة كامل المهندس, مكتبة لبنان, ساحة رياض الصلح بيروت, ط2 (1984م) ص17.

(2) المعجم المفصل في اللغة والأدب (نحو صرف, بلاغة, عروض, ...), إميل بديع يعقوب, ميشال عاصي, مج1 دار العلم للملايين, بيروت, ط1 (1987), ص61.

(3) في الأدب الجزائري الحديث, تاريخاً, أنواعاً, وقضايا وأعلاماً, عمر بن قينة, ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر, ط2 (2009), ص97.

للعبدري، يقول المحقق «وكلمة رحلة ليست من ابتكار العبدري فأول من سمى هذا النوع من الكتابة رحلة هو أحمد بن جبير المتوفى سنة 214هـ، فهو؛ إذن مؤسس فن الرحلة»⁽¹⁾

أدب الرحلة عند العرب:

قبل أن نتطرق لأدب الرحلة عند الجزائريين نشير إشارة خفيفة إلى أدب الرحلة عند العرب

يمكن القول إن العرب عرفوا الرحلات قبل غيرهم من الإغريق والرومان والفينيقيين وذلك لما اشتهرت به العرب منذ القديم من خلال الرحلات التجارية في أيام الجاهلية والفتوحات الإسلامية بعد الإسلام، «كما نجدها مبنوثة وغير مدونة في أشعار العرب الجاهلية ويبين فيها الرحالة بعض المعلومات الثقافية ويظهر مشاعر تختلج في قلبه، كما يعتبر ما روي في كتب الأحاديث عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ثم هجرة الصحابة إلى الحبشة من ضمن الرحلة لأن المرويات عن هذه الرحلات تكشف لنا عن معلومات ثقافية وجغرافية ودينية وغيرها»⁽²⁾

فالرحلات بمعناها التنقلي عرفها العرب منذ زمن بعيد وازدادت مع الفتوحات الإسلامية، « فمن الطبيعي أن تزداد تجارتهم بازدياد الفتوحات بعد الإسلام ، لكن الرحلة كأدب لم يعرفها العرب إلا بعد الاطلاع على التأليف التي سبقتهم بالإضافة إلى أسباب خاصة يمتازون بها وهي:

(1) الرحلة المغربية، محمد العبدري البلنسي، بتح أحمد بن جدو مطبعة البعث نشر كلية الآداب الجزائرية قسنطينة، ط1، ص(ج) (المقدمة).

(2) الرحلة وآدابها في اللغة العربية دراسة تاريخية الأستاذ محمد رضي الرحمان القاسمي ، مجلة الداعي الشهرية دار العلوم ديونيد (1434هـ/2013م) العدد 6/7.

1/فريضة الحج

2/ الرحلة في طلب العلم وذلك يستلزم معرفة الأماكن والمناطق.

3/ اختلاف العرب في طرق الفتح باختلاف البلاد للحكم في أخذ الجزية وتحصيل الخراج⁽¹⁾

ولا ريب في أن للأدب الجزائري نصيب من هذا الأدب الرحلي العربي العام ويلاحظ هذا من خلال الرحلات التي قام بها مجموعة من الأعلام نذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر.

1) رحلة المقرئ التلمساني: هو شهاب الدين أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى، أبو العباس المقرئ التلمساني (992-1041هـ/1584/1631م) أديب وشاعر وعالم فقيه صوفي ولد ونشأ في تلمسان، ثم انتقل إلى فاس عام 1010 فكان خطيبها بها، ثم زار بيت المقدس، ثم شد الرحال إلى القاهرة عام 1027، ومنها إلى الشام والحجاز، توفي بالشام ودفن بها، خلف المقرئ كتباً كثيرة منها كتابه الشهير نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وكتاب أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض.⁽²⁾

من أهم الرحلات الأولية الشهيرة في القرن الحادي عشر للهجرة، حيث قام المقرئ بأول سفر له عام (1009هـ) من تلمسان إلى فاس بالمغرب الأقصى.⁽³⁾

تردد المقرئ على بعض مدن المغرب الأقصى وعاش فيها مدة واشتغل فيها بالقراءة والتدريس ومخالطة الشيوخ الكبار كما زار مراكش « ثم عاود السفر إلى

(1). أدب الرحلة تاريخه وأعلامه جورج غريب، ط3 (1979)، دار الثقافة ببيروت لبنان، ص 26/27

(2). ينظر تعريف الخلف برجال السلف أبي القاسم محمد الحقاوي بن الشيخ الديسي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1999م ص من 45 إلى 52.

(3). نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، أبو العباس أحمد المقرئ، بتح، إحسان

عباس، دار صادر، ج1، ص13، 69.

فاس سنة لاستكمال تكوينه العلمي وقد ولى بها مناصب عالية؛ كالقضاء والفتوى والخطابة في جامع القرويين، واشتهر بين العامة والخاصة وعقد صفقات مع علمائها وأدبائها فكان أقربهم إليه محمد بن يوسف التاملي المراكشي، واستطاع المقري تأليف كتب خلال إقامته بالمغرب فأل ف أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض... الخ.⁽¹⁾

تحتوي رحلة المقري على معلومات تاريخية وأدبية هامة تتعلق أساسا بصاحبها فالمناطق التي مر بها تشكل المجال الجغرافي لأصحاب الرحلات المغربية، وتكشف لنا هذه الرحلات عن الحياة العائلية للمقري بما فيها من جديد لا نجده في مصادر أخرى متوفرة، وتعطي فكرة عن الأجواء العامة لهذه البلدان كما تشتمل على المخاطبات، والمكاتبات، والمجلات، والمراسلات التي كانت له مع مجموعة الشعراء والفقهاء والأمراء؛ وهي التي تكشف لنا عن المكانة التي كان يتميز بها في الوسط الفكري آنذاك.⁽²⁾

أما رحلة المقري إلى المشرق فقد نلمس أنه كان حظوة عند السلطان زيدان، ولهذا تضمنت مخاطباته ومسجلاته ومراسلاته مع أعيان عصره، من فحول الأدباء والشعراء، والعلماء والفقهاء والقضاة والأمراء ورجال الإفتاء من المغرب العربي ومصر وأرض الحجاز وبلاد الشام ومن هؤلاء محمد بن يوسف الكلشني، ومحمد بن علي الحريري، وسعيد قدورة، وأحمد شهاب الدين الغنيمي وغيرهم.⁽³⁾

⁽¹⁾ الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، سميرة أنساع، دار الهدى الجزائر (2009) ص 63

⁽²⁾ ينظر مجلة الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة علاوة عمار العدد السادس أكتوبر (2005) ص 202/201.

⁽³⁾ ينظر رحلة المقري التلمساني، إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر، دار الرشاد سيدي بلعباس، الجزائر

وبهذا يكون المقري قد جال في معظم بلدان المغرب إلى أن استقر به المقام بالمشرق حيث كان يتنقل بين البقاع المقدسة ودمشق والقاهرة إلى أن وافته المنية بهذه الأخيرة.

(2) **رحلة الحسين الورتلاني:** هو الإمام العالم العامل الكامل الأستاذ الهمام شيخ مشايخ الإسلام الورع الزاهد الشيخ سيدي الحسين الورتلاني، نسبة إلى بني ورتلان قبيلة بالمغرب الأوسط قرب بجاية التابعة للجزائر، أخذ العلم عن والده وأشياخ وطنه ثم رحل إلى المشرق فحج واجتمع بالخضر عليه السلام بمكة المشرفة، أما وفاته فقد رأى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره أنه يعيش إلى السنة العاشرة من القرن الثالث عشر فتكون وفاته كما أخبره الصادق المصدق لأنه لا ينطق عن الهوى.⁽¹⁾

فبعد رحلة المقري تأتي رحلة الورتلاني الذي زار تونس وطرابلس ومصر والحجاز للسياحة، وطلب العلم وأداء فريضة الحج وعنونها (بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار). وقد وصف الورتلاني هذه الأماكن وصفا يختص بأهلها وعلمائها، وعاداتها. ثم تحدث عن مكة أيام الحج وعن المدينة وعن العلماء الذين لقيهم.

وتعد رحلة الورتلاني أهم رحلة اعتنت بتسجيل الأخبار الجغرافية والتاريخية للبلدان العربية لأن علم التاريخ علم جليل بالغ الأهمية ومنه جاء علم السير كسير الأنبياء وقصصهم ووقائعهم ونجد منها الكثير في القرآن الكريم.⁽²⁾

وهاتان الرحلتان من أطيب الرحلات وذلك من حيث مادتهما الأدبية وطابعهما الفكري كما صورت أوضاعاً اجتماعية وسياسية وثقافية.

(1) ينظر تعريف الخلف برجال السلف ، الحفناوي ص133/135.

(2). ينظر الرحلة إلى المشرق العربي سميرة أنساع ص68/69.

(3) **رحلة محمد أبي راس:** ولد بنواحي مدينة معسكر يوم 8 صفر 1165 هـ, وتوفي يوم 15 شعبان 1238 هـ, ودفن بمعسكر واسمه الكامل محمد أبو راس بن أحمد بن الناصر الجليلي الراشدي علامة ومحقق في العلوم الإسلامية وحافظ للحديث الشريف.⁽¹⁾ يقول أبو راس عن مولده «أنني ولدت بين جبل كرسوط وهونت, كما أخبرتني الحرة التقية الصالحة الولية أمة الله أختي حليلة...ولما ولدت بالموضع المذكور حملتني أمي ووالدي إلى الشيخ الصالح موسى اللبوشي⁽²⁾ فبارك عليّ وأخبرني بغيب خوارق من عوارض غيرها, وصلاح وغنى وحفظ وإصلاح, ودرس خطابة وقضاء وتصنيف»⁽³⁾, توجه عبد القادر الأخ الأكبر لأبي راس لبحث عن عمل وكفل أخاه أبا راس وأخذ معه إلى المغرب وحفظ القرآن, ثم عاد إلى معسكر بشيء من العلم, ترك مؤلفات كثيرة منها فتح الإله ونته في التحدث بفضل ربي ونعمته, عجائب الأسفار ولطائف الأخبار, الحل السندسية وغيرها⁽⁴⁾.

عرف هذا الرحالة الرحلة منذ الصغر وتنقل بين عدة مدن في الغرب الجزائري وأنجز مدة حياته رحلتين إلى الحجاز لأداء فريضة الحج كما زار خلال الرحلتين الشام وفلسطين ومصر, حيث ذاع صيت أبي راس في هذه البلدان لعلمه الواسع وكثرة حفظه حتى لقب في مصر بشيخ الإسلام وصار عند المصريين شهيرا.

(1) ينظر تاريخ الجزائر الثقافي, أبو القاسم سعد الله, دار الغرب الإسلامي بيروت, ط1, 1998, ص377.

(2) موسى اللبوشي: هو أحد صلحاء اليعقوبية من بني يعقوب, والتي تبلغ بطونها خمسة عشر بطنا. ينظر عبد القادر المشرفي بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب تحقيق محمد بن عبد الكريم, دار مكتبة الحياة بيروت لبنان, ط1, ص4.

(3) فتح الإله ومنته في التحدث بفضل ربي ونعمته, محمد أبو راس الجزائري, تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1982, ص19/18.

(4) ينظر تاريخ الجزائر الثقافي, أبو القاسم سعد الله ص380.

ثم رحل إلى مكة المكرمة والتقى بمفتي المالكية الحسين المغربي الذي جالسه طويلاً⁽¹⁾، وتحدث عن مكة قائلاً عنها، ذات المكارم، والعلا والعرى التي لا غيرها تقاس لأنها أول بيت وضع للناس درة السالك النضيد وبيت المعاني إليه القصيد⁽²⁾

يعتبر كتاب فتح الإله ومنته من أهم المصادر التراثية إذ يسلط الضوء على حياة أبي راس الذاتية والعلمية فقد قسم أبو راس مادة كتابه إلى خمسة أبواب وهي:

الباب الأول: متعلقاً بحياته ونسبه وسماه في ابتداء أمري، ركز فيه عن مولده ونشأته ونسبه وطفولته وبعض أفراد أسرته.

الباب الثاني: ذكر فيه شيوخه وسماه في ذكر أشياخي النافضين على قشب أوساخي، عرف فيه بشيوخه بادئ بوالده ومنتهيا بالشيخ السنوسي.

الباب الثالث: خصصه للحديث عن رحلته وهو بعنوان في رحلتي إلى المشرق والمغرب وغيرها، ولقاء العلماء والأعلام، وما جرى لي معهم من المراجعة والكلام:

الباب الرابع: خصصه للأسئلة وما يتعلق بها، والمواضيع التي نوقشت في مجالس العلم التي حضرها وناقشها وأجاب عنها في مختلف الأماكن التي زارها أثناء رحلته، كذلك حوار وأراءه التي كانت بينه وبين علمائه ومشايخه.

(1). تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي، ج2، ص167/168.

(2). ينظر فتح الإله ومنته، تحقيق محمد بن عبد الكريم، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر (1990م)، ص179.

أما الباب الخامس: فجاء تحت عنوان المسجد والإبريز في عدة ما ألفت بين بسط ووجيز⁽¹⁾

وهذه الرحلة في عمومها رحلة علمية ثقافية، الغرض منها الاتصال بالعلماء بالدرجة الأولى ولم يكن الغرض منها المال ولا السلطان، «ذلك أنه صور كل المدن التي مر بها صورا إيجابية مع اختلاف في مستوى ذلك وطبيعتها باستثناء العريش التي طفت في سورة سلبية من زاوية النظر لدى الرحالة؛ الذي يرى رجال العلم ميزة أولى لكل مدينة فإن خلت من العلماء فقد ضاع منها أهم ما يميز ويزين المدينة، فإن لقي في غزة علماء ناظروه وأكرموه، واعترفوا بفضله فإنه في العريش مر مرور البخلاء فلم يخضها إلا بسطر؛ لأنه لم يجد فيها عالما يأنس إليه.»⁽²⁾

ففي الرحلة تشييد بفضل العلم والعلماء ووصف حواضرها وثقافتها المختلفة، كما تفصح هذه الرحلة عن اهتمام الرحالة أبي راس بالجلسات العلمية والمناظرات الفقهية وهذا ما جعله مبعلاً مقدراً. و يكشف لنا بذلك عن القيمة التعليمية للرحلة من حيث أنها أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان وإثراءً لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين.

(4) رحلة محمد السعيد بن علي الشريف⁽³⁾: حيث رحل إلى فرنسا عام (1852م) لحضور المهرجان الضخم الذي أقيم احتفالاً بتتصيب "تابلين الثالث" وقد

(1) الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني بأنواعها وخصائصها، الطاهر الحسيني، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2013/2014، ص 316/315.

(2). في الأدب الجزائري الحديث عمر بن قينة، ص 107.

(3) هو محمد السعيد بن علي الشريف الملقب بأبي الفضل ولد عام 1214هـ/1796م فقيه، ومؤصوف جزائري، له اهتمام بالتوحيد والتاريخ وعلم الفلك والتنجيم، من آثاره التعريف بأخبار المالكين الأخبار. ينظر مجلة الحوارالمتوسطي، جامعة سيدي بلعباس، مقال بعنوان الإصلاح العسكري عند الأمير عبد القادر، عبد القادر دوحه، العدد 11-12-2016، ص. 325.

اهتم في هذه الرحلة بأمر كثيرة بسبب ثقافته المتنوعة، حيث يبدأ رحلته بحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله، لا ينطلق مباشرة في الوصف بل يتحدث أولاً عن الهدوء والاستقرار والأمن ثم يذكر سبب رحلته، وهو أنه طلب منه أن يسجل خواطره ومشاهداته فاستجاب لهذا الطلب خشية الملام. (1)

ثم يصف الوالي ثم يتحدث عن العدل، لينتقل بعد ذلك إلى التحدث عن العلم حيث يشيد بالعلم ويعتبره أساس التقدم، ويقسمه إلى أربعة أنواع (الفقه للأدب، والطب للأبدان والنجوم للأزمان، والنحو للسان). كما أن العلوم من حيث تأثيرها ثلاثة أصناف «صنف ينفع قليله وكثيره وهو علم الفلك وصنف يضر قليله وكثيره وهو علوم الطلسمات، وصنف ينفع قليله ويضر كثيره» (2).

يبدأ ابن الشريف هذه الرحلة بمقدمة طويلة تحدث فيها عن دور العلم والحث على طلب العلم، والإشادة بالمدارس الفرنسية، والدعوة إلى تعلم الفرنسية ودعم رأيه بمجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة لتأكيد رأيه؛ مثل «أطلبوا العلم ولو في الصين»، «والحكمة ضالة المؤمن».

وبعد هذه المقدمة الطويلة، يبدأ في وصف الرحلة حين ركب الباخرة والتي أطلق عليها الوابر، ووصف تأثير البحر في نفسه، وأول ما لفت انتباهه وهو على ظهر السفينة النظام والنظافة ويذكر أنه أحس بالنظافة في كل شيء وينتقد العرب الذين لا يعتنون بالنظافة، وهذا ما دعاه إلى المقارنة بين العرب والغرب، ثم يقف مبهوراً أمام جمال الطبيعة وتنوعها وعناية أهلها بالنظافة، حتى يصل إلى باريس التي أثارت إعجابه ودهشته. لما فيها من حركة وضوضاء. (3)

(1) تطور النشر الجزائري، عبد الله الركبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (2009) ط 1، ص 60/59.

(2) المرجع نفسه، ص 60.

(3) ينظر المرجع نفسه، ص 63/62.

وقد أفاض ابن الشريف في وصف أخلاق أهل باريس، وصفهم بالذكاء، ودقة الفهم، فهم مولعون بحب المعرفة والتدليل على ما يقولون، كما يصف انتشار العلم، والثقافة بينهم، ثم ينتقل إلى احترام الفرد عندهم واتصافه بالصدق والسخاء.

(5) رحلة سليمان بن الصيام⁽¹⁾: حيث زار فرنسا في الوفد نفسه الذي ذهب فيه الرحالة السابق للاحتفال بتنصيب نابليون الثالث.

يبدأ بن الصيام رحلته بالبسملة، والحمد لله فيقول: «نحمد الله حمداً، ونشكره على فضله الذي جعل الأرض ذلولاً التي نمشي في مناكبها وسخر لنا الفلك لتجري في البحر بأمره ورققه. وهذه البداية تشعنا بتأثره بالدين وهي سمة من سمات الرحلات في العصور القديمة.»⁽²⁾

وهذه البداية، هي تقليد لمن سبقه من الرحالة من العرب، حيث كان وصفهم يركز فيه على وصف جمال موقع المدينة وحصانتها وديانتها وصخرها العتيق، وعلى العادات والتقاليد التي وجدوا في أكثرها مجالاً رحباً للزخرفة والغرائبية كما أنهم

لم يمهلوا الحديث عن المرأة وأوصافها.

وصف ابن الصيام دار الآثار التي شاهدها ووقف أمامها معجباً بها لمشاهدة ما فيها من معانٍ وسماها دار التصاوير فقال عنها: «ورأينا في هذه المدينة دار يسمونها دار التصاوير المنحوت من الرخام، والمرمر الجيد وصور أخرى في

⁽¹⁾ ينتسب إلى بلدة مليانة، وهو من عائلة غنية معروفة بولائها للحكام الفرنسيين ويتعاونها معهم وكان مثقف ثقافة واسعة مكنته من احتلال مناصب إدارية وسياسية كبيرة. توفي عام 1896، وتاريخ ولادته غير معروف ويرجح أنه في أوائل القرن السابع عشر. ينظر: تطور النثر الجزائري عبد الله الركيبي، ص 69.

⁽²⁾ تطور النثر الجزائري، عبد الله الركيبي، ص 69.

حيطان تلك الدار تشهد بحسن الصناعة التي لا فرق بينها وبين الآدمي إلا بالكلام»⁽¹⁾.

ثم يصف ما رآه في دار الأوبرا أو التمثيل « ومن العجائب التي رأيناها هناك شجرة خارجة من المحل شيئاً فشيئاً حتى استوت على ساقها ثم بدأت أوراقها وأزهارها إلى أن خرج من أزهارها نساء كن ملتقات بالأوراق فمزقن الأوراق وتكلمن مع بعض من حضر فكشف الغيب أن الشجرة ليست حقيقية وإنما هي صورة القط»⁽²⁾. وحين يشاهد الاتصالات الهاتفية تجري بين باريس وليون يصفها بإعجاب فيقول: « وهذا من أغرب ما رأيت، الأمر لله من قبل ومن بعد.»⁽³⁾

وفي هذا دلالة على أن الرجل يملك ثقافة واسعة كما أنه لم يغفل الكتب، فنذكر أن كثيرا من الكتب العربية الجزائرية يملكها الفرنسيون، ولا توجد لدى غيرهم. «وهذا الوصف للأمور الحديثة والمكتشفات وجوانب من الحياة سيضطره لإيجاد عبارات وألفاظ ملائمة لوصف ما يريد الحديث عنه، فأحيانا نجده ينقل العبارة كما هي من الفرنسية إلى العربية مثلا لما يتحدث عن بعض الأشهر فيكتب ماي، ومايو، ومايو مشيرا إلى شهر أيار mai، ويكتب فرائصة وغيرها من المصطلحات. وهناك كلمات أخرى ينقلها حسب لفظها الفرنسي دون تعريب ومن ذلك: رودة Roue اطار، السنيال Signal إشارة، آلة Machine..... إلخ

وهذه المصطلحات التي وظفها ابن الصيام في رحلته تضيف جديدا لدراسة تطور المصطلح العربي الحديث إثر الإحتكاك بأوروبا، ولاشك بالقيمة الكبرى التي

(1). تطور النثر الجزائري عبد الله الركبي، ص 70/71.

(2) المرجع نفسه، ص 73.

(3). ثلاث رحلات جزائرية الى باريس، تقديم خالد زيادة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، بيروت 1979م، ص 32

تتضمنها هذه المؤلفات في التعريف بأوروبا وإعطائنا فكرة عن نظرة العرب إلى الغرب في القرن الماضي»⁽¹⁾.

كما اهتم بوصف الطبيعة اهتماما بالغاً حيث وصف باريس وطبيعتها وسكانها وبنياتها، كما وصف المجتمع الباريسي وأخلاقه وطبائعه وعن ذكائه وإطلاعه الواسع وبعده عن التقليد وبحثه عن الجديد.

ومهما يكن من أمر فإن هاتين الرحلتين تمثلان نموذجاً جليلاً من الرحلات في الأدب الجزائري الحديث مما يجعلنا نخرج بنتيجة هامة وهي التعريف بنظرة العرب إلى الغرب من خلال هذه الرحلات. كما أن النثر في هذا المجال بالذات قد تطور عن غيره من العصور السابقة في ذلك الوقت.

وأياً كانت دوافع الرحلة المعلنة منها والخفية فقد اتصفت أغلبية الرحلات ولو بدرجات متفاوتة بدقة الملاحظة والوصف والتقصي في تسجيل مشاهداتهم والمعاناة الشخصية للأحوال السياسية والاجتماعية للبلدان التي زاروها أو أقاموا فيها مع طبائع أهلها ومعالم حضارتهم.

6) **رحلة الأمير عبد القادر**⁽²⁾: لقد قضى الأمير عبد القادر شطراً من حياته زاهدا ومتعبدا، بالإضافة إلى كثرة الترحال باحثاً عن العلم والمعرفة، فقد قام الأمير بعدة رحلات منها رحلته إلى الحجاز، والشام، ودمشق وغيرها.

(1) ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس، تقديم خالد زيادة 21: 27/9/2018. www.almasalik.com 18PS://googl.dzHTT

(2) هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى بن محمد المختار، أمير مجاهد، شاعر وأديب عالم صوفي ولد عام 1808م بالغرب الجزائري، وتوفي عام 1883م، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر بيروت لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص104.

والرحلة التي قام بها الأمير كانت للحج , حيث انطلق مع والده محي الدين من مدينة وهران سنة (1825م) وصولا إلى تونس, حيث صار في وفد من الحجاج المغاربة عدده ألفان ثم إلى الإسكندرية ومنها إلى أرض الحجاز «وفي يوم السبت الثاني من شهر شعبان سنة (1239هـ) وصل الوفد إلى جدة فقام الرئيس سعيد بضيافتهم في دار الضيافة يعجز المرء عن وصف كرمه, ثم مضى الوفد فسار يومين عامرين بالذكر والتلبية والتهليل حتى الوصول إلى الكعبة المشرفة, وانعم به مقاما وترحالا في زمن الود والإخاء.»⁽¹⁾

بعد عودة الأمير عبد القادر وأبوه إلى بلدتهم , واستقبلهما الناس بحفاوة كبيرة عام 1828م, وبعد ذلك اعتزل الأمير في بيته لمدة طويلة خصها للعبادة والمطالعة الكثيرة للكتب ككتب الفقه , والفلسفة , والتاريخ التي انتجها مفكرون مسلمون, كما ركز على معرفة الفكر العالمي. ومن الفوائد المستفادة من رحلات الأمير :

تعريف القارئ من خلال رحلاته, أنه حاز على مكانة مكنته من تسيير أمور سياسة المسمين الجزائريين بالعرب الجزائري, إلى أن تولى مكانة أبيه لما كان يتصف به من حكمة, وحلم وعلم ومعرفة بأمور الحكم والجهاد. وعن ذلك يقول الأمير: «بعدما بذل مهجته, وسلك نهجته في حماية راية الإسلام.... بعد أن حصل السياسة الأدبية بالوطن, حاز الرياسة العلمية في كل سكن وقطر.»⁽²⁾

زيارة الحواضر العلمية وتبادل المصنفات.

طلاب العلم والاطلاع.

(1) ينظر رحلات ورجالون في النثر العربي الجزائري الحديث عمر بن قينة , دار الأمة للطباعة والنشر, ط2 (2009م), ص33/37.

(2) مذكرات الأمير عبد القادر, عبد القادر بن محي الدين, سيرة ذاتية بتح محمد الصغير بناتي وآخرون, ط7, دار الأمة للطباعة والنشر, الجزائر 2010, ص106

7) **رحلة ابن باديس⁽¹⁾**: لقد كان ابن باديس يسجل جميع الرحلات المهمة في مذكرات خاصة ثم يقوم بنشرها في مجلة الشهاب. ومن الرحلات التي قام بها رحلتان رحلته إلى الغرب الجزائري ورحلته إلى فرنسا.

فالرحلة الأولى التي قام بها كانت رحلة داخلية « وقد فصل ابن باديس في هذه الرحلة والتي أطلق عليها لفظ تنقلات، فيقول في مطلعها: « عرفتني تنقلاتي في بعض القرى ما في قلوب عامة المسلمين الجزائريين من تعظيم للعلم وانقياد إذا ذكروهم بحكمة وإخلاص، ما حلت بقعة إلا التف أهلها حولي يسألون ويستمعون في هدوء وسكون... ما كنت أدعوهم في جميع مجالسي إلا لتوحيد الله والتفقه في الدين والرجوع إلى كتاب الله وسنة رسول الله، ورفع الأمية والجد في أسباب الحياة »⁽²⁾

ومن هنا يتبين أن هدف رحلته كان ساميا وهو تذكير الناس بدينهم وحثهم على مكارم الأخلاق.

ثم شرع في التنقل بين المدن والقرى الجزائرية، متحدثا عن العلم والعلماء والدعوة إلى بناء المساجد ومن بين القرى التي أوردها في تنقلاته نذكر على سبيل المثال لا الحصر قرية الحروش والتي نبه فيها إلى بناء مسجد أوسع من مسجدها الحالي فيقول: « في هاته القرية مسجد لمعاوية علي ولكن القرية تقتضي جامعا كبير فذكرناهم في شأنه واتفقت كلمة الجمع على أن الذي يقدر على إنهاء الناس لبنائه هو السيد أحمد بن حربي، والسيد بوقادوم فوعدا بالعمل وفقهم الله

(1) هو عبد الحميد بن محمد بن مصطفى مكي بن باديس ولد (1889/1940م) من كبار رجال الإصلاح والتجديد في

الإسلام والزعيم الروحي لحرب التحرير. ينظر معجم أعلام الجزائر، عادل نويهض، ص 27.

(2) آثار الإمام عبد الحميد بن باديس مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية، إعداد وتصنيف دكتور عمار

الطالبي، ط 1 (1388 هـ / 1968م) الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر الجزائري. ص 295.

لإنجازه»⁽¹⁾ كما ذكر مدينة عين مليلة والتي حل بها يوم السباق فوجدها تعج بالخلق كما ذكر ذلك «دخلت لها يوم السباق فوجدتها تموج بالخلق موجاً وكان نزولي بالمكتب القرآني الذي أسسه السيد أحمد ... فرأيت من طلابه إقبالاً كثيراً»⁽²⁾

كما وصف ما وقع له في مليانة، وغليزان، ومستغانم التي أطال الحديث عنها لبعض هذه الأسباب .

1/ كانت هذه المدينة معقلا للطرقية.

2/ كان حاكمها قبل أن ينتقل إليها حاكما لقسنطينة مسقط رأس ابن باديس.

3/ كانت مركزا ثقافيا لاسيما للثقافة الصوفية.»⁽³⁾

فعل هذه الأسباب جعلته يقيم فيها زمناً طويلاً ويكتب عنها حديثاً أشمل، «فيصف وصوله إلى مستغانم وحلوله بدار الشيخ بن حلوش وكرمهم معه وحفاوتهم به ثم اتصال الشيخ ابن عليوه به ودعوته إياه للعشاء حيث حضر هذه المائدة؛ من أعيان البلد ومن تلاميذ الشيخ ما يناهز المائة وبالعشرين في الحفاوة والإكرام وقام على خدمة ضيوفه بنفسه فمألاً القلوب والعيون وأطلق الألسنة بالشكر»⁽⁴⁾

ويقول الشيخ عبد الحميد بن باديس عن زيارته لمستغانم والنقائه بشيوخها « قصدنا من المحطة إلى مسجد الشيخ بلقاسم بن حلوش لما بيننا من سابق المعرفة ، وأنزلنا على الرحب والسعة، ومن غده دعا للعشاء أعيان البلد منهم فضيلة الشيخ

(1). المصدر نفسه، ص297.

(2). المصدر نفسه، ص301.

(3) دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله، ص293/294

(4) المرجع نفسه، ص294.

عبد القادر بن قارة، والشيخ أحمد بن عليوة شيخ الطريقة المشهورة، ولما انتهينا من العشاء ألقيت موعظة في المحبة والأخوة، وأن لا نجعل القليل مما نختلف فيه سببا في قطع الكثير مما نتفق عليه، وأن الاختلاف بين العقلاء لا بد أن يكون، ولكن الضار هو أن يؤدي بنا ذلك الاختلاف إلى الافتراق، وذكرنا الدواء الذي يقلل من ذلك الاختلاف وهو تحكيم الصحيح من كتاب الله والصحيح من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما افترق المجلس حتى دعانا سيدي أحمد بن عليوة إلى العشاء عنده»⁽¹⁾

ثم ينتقل ابن باديس من هذا الوصف المادي إلى الوصف الروحي الفكري، ثم يعرض للنقاش الذي دار بينه وبين الطريقين، ولعل ابن عليوة جعله من أتباعه، فأيد ابن باديس الشيخ بن عليوة، ثم عاد المجلس إلى الإنشاد والمذكرات الأدبية حتى انتهت السهرة.⁽²⁾

أما الرحلة الثانية التي قام بها الرحالة ابن باديس هي رحلته إلى الغرب الجزائري حيث زار أكثر من مدينة حاضره فيها وأرشد فيها الناس في المساجد حيث يقول «وأكثر ما سألنا عنه بوجه عام هو التصوف والولاية والكرامة»⁽³⁾

لقد كان ابن باديس دارسا للمذاهب الصوفية على اختلافها لكي يجيب الصوفية ببعض ما يعرفون ليعود بعد ذلك إلى هذه المذاهب لنقضها وتبيان فسادها وفساد أصحابها مذهبا ومذهبا وأن الصوفية التي كانت سائدة لم سائرة في الطريق الصحيح وإنما كانت مضطربة مقصرة في الشريعة الإسلامية⁽⁴⁾

(1). آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، 311/4، 313.

(2). دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ص 295.

(3). المرجع نفسه، ص 296.

(4). المرجع نفسه، ص 296.

كتب ابن باديس رحلاته في مذكرات يومية نشرت هذه الرحلات في مجلة الشهاب ولهذه المذكرات قيمة علمية لدارس الأدب الجزائري.

8) **البشير الإبراهيمي**⁽¹⁾ رحل البشير الإبراهيمي لما بلغ سنة من عمره هاجر والده مع أسرته إلى المدينة المنورة عام 1908م هرباً من ويلات الاستعمار الفرنسي وفي سنة 1911م غادر الجزائر ليلحق بهم وكله شوق الى العبد من مناهل العلم والدين في الحجاز وقد مر في رحلته بتونس وليبيا ومصر التي أقام فيها ثلاثة أشهر أمضاها مع العلماء يرتاد مجالسهم، وليس له من أرب سوى التزود مما عندهم من العلوم والمعارف⁽²⁾.

وصل الى المدينة المنورة أواخر عام 1911م وعلى امتداد خمس سنوات واصل الشيخ البشير التعليم والتعلم، فانطلق إلى حلقات العلم، واختار من بين علمائها من وثق به وبعلمه أمثال الشيخ الوزير التونسي والشيخ أحمد الفيض أباد..... وهلم جرا انطلق البشير الى المكتبات التي وجد فيها ضالته، فانكب عليها يلتمسها التهاماً وكان في المدينة بعلم الناس كما يتعلم من علمائهما الثقات⁽³⁾.

رحلته الى دمشق.

وتهبّ الأرض الآمنة عواصف ثورة الشريف حسين بن علي سنة 1917م، فأمرت الحكومة العثمانية بترحيل سكّان المدينة إلى دمشق، فيذهب البشير ووالده إلى عاصمة الشام، وما لبث حتى انهالت عليه الرغبات في التعليم بالمدارس

(1). هو محمد بن البشير بن عمر الإبراهيمي (1306/1385هـ) رئيس جمعية العلماء المسلمين، ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر، ص13

(2). ينظر، آثار الإبراهيمي ، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1 (1929/1940م)، ج1، ص09.

(3). ينظر، الملتقى الدولي للإمام البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته بقصر الثقافة، الجزائر في 22-

23 ماي 2005م) بطاقة حياة محمد عمارة دار الغرب الإسلامي، ط1 (2006م)، ص171.

الأهلية، ودعته الحكومة - بعد خروج الأتراك - إلى تدريس الأدب العربي بالمدرسة السلطانية - الثانوية الوحيدة آنذاك - فلبّى، وتخرّج على يديه كثير ممن يحمل منارة الفكر في الشام في أيامنا هذه.⁽¹⁾

والحق... كان للإبراهيمي دوره في بناء صرح النهضة في سوريا، وكان سعيداً بإقامته فيها، يقول: «... فأشهد صادقاً أنها هي الواحة الخضراء في حياتي المجدبة، وأنها هي الجزء العامر في عمري الغامر، وأني كنت فيها أقرّ عيناً، وأسعد حالاً.»⁽²⁾

وهكذا كانت إقامة شيخنا الإبراهيمي في المشرق، مرحلة أخذٍ وعطاء، استطاع فيها أن يستزيد في العلوم، وينمّي قدراته ومواهبه، فما عاد للجزائر إلا وهو بحرٌ فائض بالمعارف، وزهرة عبقة بالروائح.

3. عودته للجزائر: عاد البشير للوطن سنة 1920م، أقام بمدينة سطيف، وأنشأ بها مدرسة ومسجداً، وفي سنة 1931م أسّست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، برئاسة الإمام ابن باديس، وكان للبشير فضل كبير في تأسيسها، وهو الذي وضع دستورها، فانتُخب نائباً فيها.⁽³⁾

وعندما ضاقت به وبأمثاله فرنسا، رَجّت به في معتقل (أفلو) سنة 1940م، وبعد أسبوع من وصوله إلى المعتقل، توفّي الرئيس ابن باديس - رحمه الله - فاختر الإبراهيمي - وهو بالمنفى - رئيساً جديداً للجمعية، فكان يدير شؤونها من منفاه بطريقة الرسائل، فلما خرج من المنفى بعد ثلاث سنوات، عاد إلى نشاطه

(1). ينظر: البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسيني، ص140، ط1، 2007م.

(2) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي 33/1.

(3). ينظر: الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي، منور الأذهان وفارس البيان، المجلس الأعلى للغة العربية، منشورات المجلس - الجزائر - 2009م. ص 161.

كأقوى ما يكون النشاط، فأنشأ في عام واحد 73 مدرسة وكتب، وكان الهدف الأسمى نشر اللغة العربية، ومآرب أخرى.⁽¹⁾

4. رحلته إلى المشرق:

سافر الإبراهيمي إلى المشرق العربي للمرة الثانية عام 1952م، مُمْتَلَأً للجمعية، وقد اتخذ من مصر منطلقاً لنشاطه الجمعوي، وقد زار في هذا الشأن كلاً من باكستان - العراق - الحجاز - سوريا - الأردن - الكويت والقدس.⁽²⁾

وإثر استقلال الجزائر عاد إليها، وأقام بالعاصمة مريضاً وقد هدّه الجهد والإعياء، إلى أن توفى بعد فترة ناهزت العشر سنوات بالمشرق العربي.⁽³⁾ ومما لا شك فيه أن رحلات البشير الإبراهيمي ذات قيمة أدبية ولغوية كبيرة خاصة وأنه اعتمد فيها على توظيف قواعد اللغة توظيفاً فنياً، والجرس والإيقاع الموسيقيين. كما عالج فيها مواضيع مختلفة دينية، وسياسية، واجتماعية، وإصلاحية، وأدبية، وهذا ما جعلها تختلف عن بقية الرحلات الكلاسيكية، وعندما رحل إلى المشرق مر بالقاهرة فأقام بها ثلاثة أشهر، والتقى فيها بزعماء النهضة الفكرية والأدبية وأخذ عنهم بعض العلوم، ومن هؤلاء الشيخ سليم البشري، ولما وصل إلى المدينة المنورة أخذ يطوف بعلمائها، فالتقى بالشيخ العزيز الوزير، والشيخ أحمد الفيض أبادي يقول الإبراهيمي عن هذين الرجلين «والحق يقال عالمان محققان واسعا الأفق في علوم الحديث وفقه السنة، ولم أكن راغباً إلا في الاستزادة من علم الحديث رواية ودراية، ومن علم التفسير فلازمتها ملازمة الظل»⁽⁴⁾ أما بقية الأوقات فكان يقضيها في إلقاء الدروس، والتردد على المكتبات الجامعة.

(1). ينظر: الأعلام، الزركلي، 54/6، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط15، 2002م.

(2). ينظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي ج 1/13.

(3). ينظر معجم أعلام الجزائر، ص14.

(4) آثار الإمام محمد البشير لإبراهيمي ج274/5.

9) رحلة احمد رضا حوجو⁽¹⁾ لقد كان لأحمد رضا حوجو أعمال أدبية كثيرة منها القصة المسرحية والرحلة واحدة من هذه الأعمال، حيث نشر في جريدة الشعلة الأسبوعية رحلته إلى الاتحاد السوفياتي عام(1950م)، وقد دامت هذه الرحلة سبعة وعشرين يوما حيث كانت هذه الرحلة تحت قيادة وفد إفريقيا الشمالية وسجل انطلاقها من باريس وصولا إلى مدينة براغ .هذه المدينة التي وجدها غارقة في احتفالات الطلبة بمناسبة مؤتمرين عالميين للطلبة حيث يقول الرحالة « فحينما كنت أتجول مختلطا بالمتنزهين تقدم نحوي لفيف من الفتيان والفتيات فطلبت مني إحداهن أن أقدم لها شيئا تذكارا عن بلادي ولم يكن معي شيء ذو بال سوى ورقة ذات عشرين فرنك جزائرية، وما كدت أناولها إياها حتى ارتمت في عنقي، وأخذت تعانقني كأنها أخت تقبل أخاها أما أنا فبقيت مندهشاً، وأما بقية الحاضرين فلم يأخذهم أي عجباً فالمنظر مألوف لديهم، وما هو إلا عبارة شكر حارة ولكنني أنا الذي قدمت من هذا العالم المادي الخالي من الروحيات ، والعاطفة الأخوية، فلم استطع تفسير هذه الظاهرة إلا حينما جلست في إحدى المقاعد ووجدت نفسي محاطا بالأطفال يرتمون في أحضاني»⁽²⁾

فالرحالة يبدو أنه معجب بالانفتاح السوفياتي فقد أعجب بجماله وطريقة تفكيره في الحياة ونظامه الذي يختلف عن أنظمة العرب.

ثم شرع في وصف مدائن الدولة السوفياتية زمن هذه المدن مدينو موسكو التي وصف شوارعها وبنياتها وأعجب بما فيها من النظافة و الجمال» فالمدينة على

(1) هوأبيب يجيد الفرنسية ولد قرب قرية سيدي عقبة قرب بسكرة عام1330/ت1376هـ سافر إلى المدينة المنورة وكان مدرسا بمدرسة العلوم الشرعية فيها، قتلته الفرنسيون في محنة رهيبية أثناء الثورة الجزائرية.ينظر معجم أعلام الجزائر عادل نويهض، من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر،عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والنشر بيروت لبنان، ط2، 1400هـ/1980م، ص129.

(2) شخصيات ثقافية من وحي الرحلة ، محمد الصالح رمضان، منشورات الحضارة،ط1(2009م)، ص

وجه العموم غاية في النظافة والاعتناء لكنها لا تبلغ جمال باريس وأناقتها غير أنه كل حي من أحياء موسكو يحمل طابع سكانه من حيث المطاعم والمتاجر»
(1)

ثم ينتقل إلى الجانب الثقافي فنقل الصورة الايجابية على الجانب التعليمي الذي هو البوابة الحقيقية لبناء ثقافة منهجية علمية على أرض صلبة تكون منطلق الإبداع.

بالإضافة إلى رحلته هذه فقد توجه قبلها إلى باريس التي كانت قبل رحلته إلى الاتحاد السوفياتي، من أجل المشاركة في المؤتمر العالمي للسلم الذي انعقد باريس ضد الحرب واتصل فيه بكبار الشخصيات العالمية.

خاتمة

إن أدب الرحلة الجزائري يحمل قيم علمية وثقافية ذات شأن عظيم، فهو من أهم المصادر التي تحافظ على التراث الأدبي من الضياع، كما قد يتضمن أدب الرحلة نصوصاً لا توجد في مصادر أخرى، لذلك فهو يشكل خيطاً ساطعاً من الألوان المفعم بالثقافات المختلفة من خلال المؤلفات التي حفظت لنا جانباً عظيماً من التاريخ؛ إذ أودعت تلك الكتب الكثير مما شاهده مؤلفوها، من أحوال الدول، ووقائعها، كما أنها ساهمت في توطيد الصلات بين الشعوب، وحصول التعارف بينها، فهو من الأنواع السردية التي تكشف عن الجانب الحقيقي للإنسان عند تسجيله كل ما وقعت عليه عيناه بعيداً عن الخيال، بالإضافة إلى تنوع الأسلوب من سرد قصصي إلى حوار ووصف دقيق للمشاهد المختلفة والعجيبة.

(1) الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، سميرة أنساع، ص 133/139.

وما أخذناه من رحلات في هذا المقال ما هو إلا غيض من فيض لأن ما نجهله عن الرحالة الجزائريين وعن رحلاتهم التي مازالت متناثرة في المجلات والكتب هو الكثير، فهي بحاجة إلى الجمع والدراسة والنقد.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- آثار ابن باديس مقالات اجتماعية تربوية أخلاقية دينية سياسية، إعداد وتصنيف دكتور عمار الطالبی ط1(1388هـ/1968م) الشركة الجزائرية لصاحبها الحاج عبد القادر الجزائر .
- 2- آثار الإبراهيمي ، أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، ط1(1940/1929م) .
- 3- أدب الرحلة تاريخه وأعلامه جورج غريب، ط3(1979)، دار الثقافة بيروت لبنان .
- 4- الأعلام، الزركلي، ، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان، ط15، 2002م .
- 5- الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي، منور الأذهان وفارس البيان، المجلس الأعلى للغة العربية ، منشورات المجلس - الجزائر - 2009م .
- 6- البشير الإبراهيمي في عيون معاصريه، محمد الهادي الحسيني، ، ط1، 2007م .
- 7- بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهرا من الأعراب، عبد القادر المشرفي، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار مكتبة الحياة بيروت لبنان، ط1.
- 8- تاريخ الجزائر الثقافي،، أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط1، 1998

- 9- تطور النثر الجزائري، عبد الله الركيبي، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر والتوزيع، (2009) ط
- 10- تعريف الخلف برجال السلف، الحفناوي،. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، (1999م) .
- 11- ثلاث رحلات جزائرية إلى باريس، تقديم خالد زياد
www.almasalik.com27/9/2018. 18PS://googl.dzHTT:21
- 12- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، أبو القاسم سعد الله دار الرائد للكتاب الجزائر، ط5، 2007م.
- 13- رحلات ورحالون في النثر العربي الجزائري الحديث عمر بن قينة، دار الأمة للطباعة والنشر، ط2 (2009م)
- 14- الرحلات: شوقي ضيف، دار المعارف مصر ط4 (1987) .
- 15- الرحلة الجزائرية في العهد العثماني بناؤها الفني بأنواعها وخصائصها، الطاهر الحسيني، أطروحة دكتوراه في الأدب العربي، كلية الآداب واللغات جامعة قاصدي مرباح ورقلة، 2013/2014.
- 16- الرحلة المغربية، محمد العبدري البلنسي، تح أحمد بن جدو مطبعة البعث نشر كلية الآداب الجزائرية قسنطينة، ط1 .
- 17- رحلة المقرري التلمساني، إلى المغرب والمشرق، تحقيق محمد بن عمر، دار الرشاد سيدي بلعباس، الجزائر 2004م.
- 18- الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري دراسة في النشأة والتطور، سميرة أنساعد، دار الهدى الجزائر (2009م) .
- 19- الرحلة وآدابها في اللغة العربية دراسة تاريخية الأستاذ محمد رضي الرحمان القاسمي، مجلة الداعي الشهرية دار العلوم ديونيد (1434هـ/2013م) العدد 6/7 .

- 20- شخصيات ثقافية من وحي الرحلة , محمد الصالح رمضان, منشورات الحضارة, ط1 (2009م).
- 21- فتح الإله ومنتته في التحدث بفضل ربي ونعمته, محمد أبو راس الجزائري, تحقيق محمد بن عبد الكريم الجزائري, المؤسسة الوطنية للكتاب, الجزائر, 1982م.
- 22- في الأدب الجزائري, وأنواع الحديث, تاريخا, وقضايا وأعلاما, عمر بن قينة, ديوان المطبوعات الجامعية الساحة المركزية بن عكنون الجزائر, ط2 (2009م) .
- 23- مجلة الحوار المتوسطي, جامعة سيدي بلعباس, مقال بعنوان الإصلاح العسكري عند الأمير عبد القادر, عبد القادر دوحه, العدد 11-12 2016م.
- 24- المصطلحات العربية في اللغة والأدب العربي, مجدي وهبة كامل المهندس, مكتبة لبنان, ساحة رياض الصلح بيروت ط 2 (1984م) .
- 25- معجم أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتى العصر الحاضر, عادل نويهض, مؤسسة نويهض, دار الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت لبنان, ط1 (1400هـ/1980م)
- 26- المعجم المفصل في اللغة والأدب (نحو صرف, بلاغة, عروض,.....) إميل بديع يعقوب, ميشال عاصي, دار العلم للملايين بيروت, ط1 (1987) .
- 27- الملتقى الدولي للإمام البشير الإبراهيمي بمناسبة الذكرى الأربعين لوفاته بقصر الثقافة, الجزائر في 22-23 ماي 2005م) بطاقة حياة محمد عمارة دار الغرب الإسلامي, ط1 (2006م)
- 28- . نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب, أبو العباس أحمد المقري, دار صادر.